

بسم الله الرحمن الرحيم

تمازيغت لغة وطنية ورسمية..... ما موقع اللغة المزابية من الإعراب؟

إلى: مجلس عشائر وأعيان وادي مزاب

النخبة المثقفة والرأي العام بوادي مزاب

تشهد الساحة الوطنية مع إقرار الدستور الجديد (القانون 16/01 المؤرخ في 6 مارس 2016 المتضمن التعديل الدستوري) حدثا لغويا وثقافيا هاما في تاريخ الجزائر يتمثل في الاعتراف بالطابع الرسمي للامازيغية وإنشاء جملة من المؤسسات وفتح ورشات كبرى في سبيل ذلك. لقد جاء هذا التحول إثر مسار طويل لإعادة الاعتبار للامازيغية لغة وثقافة وهوية وحضارة بدأتها الدولة منذ 1995 ، كان آخره ترقية اللغة الامازيغية إلى مصاف اللغة الوطنية إلى جانب العربية بموجب تعديل 2002، والتزام الدولة بتربيتها في كافة متنوعاتها اللهجية.

ولابد بادئ ذي بدء التذكير بمختلف المحطات في مسار ترقية الامازيغية ومساهمة بني مزاب فيه، ثم مختلف الانجازات التي تمخض عنها بالنسبة للغة المزابية، قبل التعرض إلى المشاريع والورشات الكبرى المستقبلية في هذا الصدد، حرصا منا على إطلاع الرأي العام والمجتمع وأعيانه على واقع الامازيغية وأفاقها، حتى نتحمل مسؤولياتنا كمواطنين جزائريين أمازيغ لدعم جهود الدولة الجزائرية لتربيتها وتطويرها كلغة وطنية ورسمية ثانية .

أ) مسارات ترقية الامازيغية ومساهمة وادي مزاب فيه:

إن كان مسار ترقية الامازيغية وإدراجها في منظومات التعليم والإعلام والمحيط انطلق منذ سنة 1995، فإن منطقة وادي مزاب ساهمت في هذا المسعى منذ بدايته من خلال المشاركة في المفاوضات التي تمت بين رئاسة الجمهورية والحركات الثقافية الامازيغية لمنطقة القبائل والأوراس [مُثلتُ فيها الحركة الجمعوية لمزاب بصفتي رئيس جمعية ازوران نوغلان بالعاصمة] على إثر إضراب المحفظة الذي قام به أكثر من مليون تلميذ بمنطقة القبائل في السنة الدراسية 1994-1995 للمطالبة بإدراج الامازيغية في منظومة التعليم والإعلام والمحيط.

وتم التسجيل بارتياح موقف المجلس الأعلى لعشائر بني مزاب (مجلس باعبد الرحمان الكرتي) الصادر بتاريخ 23 أكتوبر 1994 والذي يعترف – لأول مرة- بشرعية المطلب الامازيغي مؤكدا <<ان المجتمع المزابي لم يتنكر للفته، ولم ينحن أو ينتكس أمام أية محاولة لطمسها أو الاستخفاف بها...>> مع الدعوة إلى احتكام العقل والحوار لحل هذه المعضلة الوطنية (جريدة الخبر 1994/10/24). وبعد فشل مشروع "لجنة مقدار سيفي" الذي ساهم فيه المجلس وقاطعته الحركات الامازيغية، وعلى إثر الاتفاق التاريخي الذي وقّع بين رئاسة الجمهورية والحركات الثقافية الامازيغية منها مزاب بصفتي ممثلا لها، بتاريخ 22 أبريل 1995 والذي يتضمن إنشاء المحافظة السامية للامازيغية، عُقد اجتماع تشاوري بتاريخ ماي 1995 بمركز حواشة بتاغردايت بين مجموعة المختصين الباحثين في اللغة المزابية والمهتمين بالامازيغية من جهة، وأعضاء المجلس الأعلى لعشائر بني مزاب من جهة أخرى. وبعد نقاش ببناء وتفكير وروية تم الاتفاق على وجوب مشاركة منطقة وادي مزاب باعتبارها من المناطق الأساسية الناطقة بالامازيغية في الجزائر ووجوب مساهمتها بممثلين في تشكيلة المحافظة السامية للامازيغية، بحيث تم الاتفاق على تمثيل المنطقة بثلاث أعضاء : جامعيان وممثل للمجلس الأعلى لعشائر بني مزاب.

انطلقت المحافظة السامية للامازيغية منذ تنصيبها في انجاز مهمة إدراج الامازيغية في منظومات التربية والإعلام والمحيط. وكان أول نشاط لها هو إجراء تربص تكويني للمدرسين للتكفل بتعليم الامازيغية انطلاقا من السنة الدراسية 1995-1996، بحيث شارك 21 معلما من منطقة وادي مزاب في هذا التربص الذي اجري في ثانوية بن عكنون في جوليت 1995، لينطلقوا منذ سبتمبر 1995 في تأطير الأقسام التجريبية لتعليم اللغة المزابية في كل من تاغردايت، قرارة، آت ازدجن، وبرقان. وقد تبع هذا الانجاز مسار إدراج الامازيغية في منظومة الإعلام، استفادت بموجبه اللغة المزابية من الإدراج في القنوات الإذاعية ثم التلفزيون منذ التسعينات (1990، 1998، 2009، الخ).

(ب) أهم الانجازات في ترقية الامازيغية وأثرها على اللغة المزابية:

نحاول باختصار استعراض وضع اللغة المزابية بمختلف الميادين، فيما يلي:

➤ في ميدان البحث العلمي والتعليم الجامعي : نلاحظ الغياب شبه التام للكفاءات الجامعية والأكاديمية المزابية في ميدان اللغة والثقافة الامازيغية رغم وجود أقسام للتكوين في الماجستير والدكتوراه منذ 1990، ثم الليسانس منذ 1998، في هذا التخصص بجامعة تيزي وزو، بجاية، والبويرة و باتنة وأخيرا الجزائر العاصمة. ويعود ذلك إلى عدم الاهتمام الكافي للمجتمع وأعيانه بهذا الموضوع، وإلى عدم قيام – بل غالبا رفض- الجمعيات والهيئات المكلفة بالتوجيه الجامعي

للمتحصلين على البكالوريا على تحسيس هؤلاء بوجود التكوين في اللسانيات اللغة والثقافة الامازيغية.

ولحسن الحظ تتوفر وادي مزاب على مجموعة من الباحثين العصاميين الذين قاموا بأعمال علمية هامة بجهودهم التطوعية الخاصة وفي ظروف صعبة، مثل جمع الوثائق والمؤلفات والدراسات المنجزة حول اللغة الامازيغية خلال قرنين[المكتبة الوثائقية للأستاذ عبد الرحمان حواش]، وإنجاز قاموس اللغة المزابية [2010] ومختلف المؤلفات والدراسات والمحاولات، الخ؛ إضافة إلى الجهود الكبيرة لبعض المثقفين على قلتهم في كل المدن المزابية، لإحياء التراث الشعري والأدبي والثقافي مما لا يتسع المجال لذكره. لكن هؤلاء عانوا ولا يزالون يعانون من انعدام الوسائل المادية والدعم المؤسسي والمعنوي من قبل مؤسسات الدولة وأعيان المجتمع لطبع أعمالهم.

➤ **في ميدان التعليم:** توقفت تجربة تعليم اللغة المزابية في الطورين المتوسط والثانوي بالمدارس الرسمية بسبب جملة من المشاكل البيداغوجية والتنظيمية والموضوعية ساهم فيها العرقلة المتعمدة لبعض منتسبي قطاع التربية، مع تسجيل عدم الاهتمام الكافي للمجتمع وأعيانه الممثلون في المجلس الأعلى لعشائر بني مزاب في دعم هذا المسار. كما يندم أساتذة اللغة المزابية في الطورين الابتدائي والثانوي، إذا استثنينا أستاذا واحدا من بين 5 مناصب خصصت لولاية غرداية، مما جعل الوزارة تعين أساتذة من منطقة القبائل لتدرس الامازيغية بالمنطقة لتغطية النقص. فلا بد من تفكير مجتمعي في المسألة.

➤ **في التعليم الجامعي:** تم إدراج تدرس اللغة المزابية إلى جانب المتنوعات الأخرى القبائلية والشاوية والتارقية كمادة أساسية بمعامل قوي، في برنامج الماجستير في اللغة والحضارة الامازيغية منذ 1990 ثم اللسانيات في كل من جامعات تيزي وزو، بجاية، البويرة وباتنة، وأخيرا قررت وزارة التربية الوطنية فتح تخصص جديد لتكوين أساتذة اللغة الامازيغية في المدرسة الوطنية لتكوين الأساتذة ENS بالجزائر ، غير أنه، باستثناء مُدرّس واحد تولى تدريسها لمدة 25 سنة ولا يستطيع اليوم التكفل بكل هذا الطلب الكبير جدا؛ نسجل انعدام المدرسين الجامعيين المختصين في اللغة المزابية، فلجأت الجامعات الى إسناد المادة إلى أساتذة غير ناطقين بالمزابية ويجهلون التراث والحضارة المزابية، علما أن اللغة في برنامج وزارة التعليم العالي تدرس بثقافتها وحضارتها. كما نسجل نفس المشكل في الجامعات الأوروبية أين فُتحت أقسام للدراسات الامازيغية.

من جهة أخرى نسجل بأسف كبير وحسرة وغبارة إقصاء البعد الامازيغي، لغة وثقافة وحضارة بشكل كامل ومجحف من برامج التعليم الحر والخاص في المدارس المزابية(؟!!) التي تقارب الخمسين مدرسة موزعة على وادي مزاب وخارجه لاسيما لصالح بناتنا، أمهات المستقبل، رغم تدريس اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والانقليزية..... (؟!!). مع أن لغتنا صنفت من طرف منظمة اليونسكو سنة 2003 ضمن اللغات المهددة بخطر الاندثار بالجزائر.

➤ في ميدان الإعلام السمعي البصري : تم إدراج اللغة المزابية في قسم الأخبار والإنتاج الثقافي بالقناة الثانية منذ سنة 1990. كما أُدرج موجز إخباري مزابي سنة 1992 ثم نشرة إخبارية مزابية منذ سنة 1998 بالاضافة إلى حصص ثقافية مزابية. وكان لذلك أثرا طيبا على لغتنا التي استطاعت أن تكون وسيلة للحفاظ على موروثنا الثقافي واللغوي وتبليغه إلى عائلاتنا المغتربة والى إخوتنا الجزائريين الناطقين بالمتنوعات الامازيغية الأخرى. غير أن الإعلاميين، الذين يفتقدون لأي تكوين لساني في اللغة الامازيغية، لم يجدوا حتى الآن الدعم العلمي والتكوين والتوجيه لاستخدام المصطلحات المزابية وتميئتها وتنميطها بسبب انعدام مؤسسات بحث في اللغة المزابية.

➤ في ميدان المحيط : تعرضت وادي مزاب عبر التاريخ إلى تحريف الكثير من أسماء الأماكن والمعالم من الامازيغية إلى الفرنسية والعربية مما يستدعي عملا علميا لتصحيحها، لا يمكن حصوله إلا بوعي المجتمع وأعيانه بأهمية المسألة . ولم يتم الاستجابة لدعواتنا المتكررة حتى الآن لا من رؤساء البلديات ولا من الأعيان، الخ.

➤ في الميدان الجمعي: نلاحظ نقصا إن لم نقل انعداما، للجمعيات المحلية المهمة بالبعد الامازيغي الذي تسعى الدولة لترقيته مما يستدعي جهودا كبيرة في هذا المجال من طرف المجتمع وأعيانه لإنقاذ تراثنا اللغوي واللامادي من الاندثار.

(ج) أهم المشاريع والورشات المستقبلية المفتوحة لترقية الامازيغية :

لقد بات من الضروري تكوين الكفاءات اللغوية والثقافية المحلية المختصة في اللغة المزابية وثقافتها، بهدف مساهمتها في مختلف الورشات الوطنية المفتوحة من طرف الدولة لترقية الامازيغية بكافة متنوعاتها منها اللغة المزابية. و تتمثل أهم هذه المشاريع فيما يلي:

1. أكاديمية اللغة الامازيغية: وستكون من الخبراء اللسانيين والباحثين في اللغة الامازيغية بمختلف جوانبها وتنوعاتها اللهجية منها المزابية. وسيتم تنظيمها بموجب قانون عضوي طبقا للمادة 4 فقرة 4 من الدستور الجديد 2016 .

2. المركز الوطني للغة والثقافة الامازيغية Centre National de Langue et Culture Amazigh ومقره بجاية، بحيث سيتم افتتاحه قريبا. وهو مركز وطني للبحوث والدراسات في اللغة الامازيغية وتنوعاتها، والأدب والتعبيرات الفنية، وانترولوجيا الجماعات الامازيغية. ويحتاج إلى كفاءات عدة في اللغة المزابية وثقافتها كباحثين دائمين ومؤقتين وإداريين.

3. مشروع تعميم تدريس الامازيغية إلى 36 ولاية منها ولاية غرداية: وفي هذا الإطار يبقى مستقبل تدريس اللغة المزابية مهما أمام الاستقالة الكاملة للمجتمع وانعدام الأساتذة والكتب المدرسية، الخ.

4. مشروع فتح قسم للغة والثقافة الامازيغية DLCA بإحدى جامعات الجنوب الجزائري. ولا يزال في قيد التفكير والدراسة. ويتعين دراسة مدى القابلية الاجتماعية وتوفير الكفاءات لفتحه في جامعة غرداية أو ورقلة.

5. مشروع تدريس الامازيغية منها المزابية في إطار محو الأمية على المستوى الوطني. وقد بدأت وزارة التضامن الوطني من خلال جمعية "إقرأ" والمحافظة السامية للامازيغية كمرحلة أولى بفوج من المزابيين بمقرها على مستوى الجزائر العاصمة. والمنتظر تعميم هذه التجربة في السنوات المقبلة.

6. مشروع القاموس الامازيغي المتعدد اللهجات DAMD: وهو مشروع ضخيم على المدى البعيد يتم انجازه بالانترنت يتطلب خبراء لغويين باللغة المزابية لتغطية الجانب المزابي.

7. مشروع المركز الوطني للمصطلحات الأمازيغية Centre National de Terminologie Amazigh للاستاذ مولود لوناوسي. ويسعى الى التهيئة اللفظية للغة الأمازيغية بمختلف تنوعاتها وتوحيد المصطلحات الجديدة.
8. مشروع ترجمة معاني القرءان الكريم باللغة الأمازيغية: وقد انطلق منذ شهر نوفمبر 2016. وسيتم في مرحلة أولى باللغة القبائلية، ثم يتوسع لاحقا إلى المتنوعات الأخرى منها المزابية.
9. مشروع نشر المؤلفات الأمازيغية أو حول الأمازيغية: وذلك بموجب اتفاق بين المحافظة السامية للأمازيغية وعدة دور للنشر منها OPU, ENAG، الخ.
10. مشاريع ترجمة القوانين: ويبدأ بالدستور الجزائري الجديد وقانونين عضوين. هو من أهم متطلبات ترسيم الأمازيغية.
11. مركز الوثائق الأمازيغية CDA. وقد تم افتتاحه سنة 2015 بالمحافظة السامية للأمازيغية بالعاصمة، ويحتاج إلى إثراء بالدراسات اللغوية والانتربولوجية حول وادي مزاب.
12. مشروع تسمية الأماكن والأحياء: بإدراج الأمازيغية في إشارات الأحياء والساحات والأماكن العامة بمصطلحات موحدة، وقد يبدأ من بلديات الجزائر العاصمة.
..... الخ.

أمام كل هذه الورشات والمشاريع الكبرى المفتوحة على الأمازيغية التي تحتاج إلى كوادر من الكفاءات الجامعية وغير الجامعية المتخصصة في اللغة المزابية وأدابها وحضارتها ، نقف مشدوهين أمام العجز الكبير الذي سجلته اللغة المزابية من حيث إعداد الكفاءات، بسبب

لامبالاة المجتمع و أعيانه وممثليه ونخبته المثقفة، لا بل معاداة العديد من هؤلاء لكل عمل يهدف إلى ترقية اللغة المزابية وعرقلتهم ومحاربتهم له طوال السنوات السابقة.والنتيجة هي : من حيث الدراسات والبحوث حول اللغة المزابية فإنها لا تمثل مجتمعة إلا أقل من 1 % في حقل الدراسات الامازيغية في شمال إفريقيا، أغلبها من انجاز الكتاب والباحثين الفرنسيين في الفترة الاستعمارية، بينما نلاحظ بغرابة عزوف الاساتذة المزابيين المختصين في اللسانيات(وهم بالمئات) عن البحث في اللغة المزابية!! ومن حيث الكفاءات العلمية لا يتوفر وادي مزاب اليوم إلا على ثلاث جامعيين متحصلين على الليسانس في اللغة والثقافة الامازيغية من جامعة تيزي وزو، وأستاذ وحيد متحصل على الماجستير في اللغة والثقافة الامازيغية(!!؟)؛ ومن حيث التدريس لا تُدرّس اللغة المزابية وآدابها في أي مدرسة حرة أو دينية البالغ عددها الخمسين(!!؟) باستثناء تدريس عناصر الأدب المزابي في معهد الإصلاح بتاغردايت.

إننا مدعوون كجزائريين وأمازيغ إلى المساهمة في جهود الدولة لإرساء البعد الامازيغي وبلورة تصور حوله. وبناء عليه بات من الضروري، في رأينا، كخطوة أولى إنشاء هيئة علمية عرفية أو رسمية تهتم بشأن اللغة المزابية وثقافتها وآدابها وحضارتها، تكون إطارا للتشاور ولجمع الكفاءات والمساهمة في تكوينها العلمي بالتنسيق مع الجامعات ومؤسسات الدولة الجديدة المكلفة بترقية الامازيغية والمجلس الأعلى لعشائر وأعيان وادي مزاب والحركة الجمعوية المحلية.

د. عبد الله نوح: أستاذ محاضر بجامعة تيزي وزو. دكتور في القانون العام من جامعة الجزائر، ماجستير في اللسانيات

بتاريخ: الأحد 20 مارس 2016.

الامازيغية، يحضر دكتوراه في اللسانيات الامازيغية بجامعة تيزي وزو.